

نفحات القرآن

[23] الفناء لا يكون أبديةً حتماً ، ومثل هذا الموجود لا يكون أزلياً قطعاً ، وبذلك لا يمكن أن يكون واجب الوجود . انَّ كلَّ مفردة من المفردات التي ذكرت يمكن أن تكون لها القابلية على استدلال النبي إبراهيم (عليه السلام) بها وملاحظته ، ويمكن أن يكون في كلام إبراهيم إشارة طريفة إليها جميعاً . ينقل (الفخر الرازي) عن بعض المحقِّقين : انَّ استدلال إبراهيم من السمو والشمول ما يجعله مورداً لإستفادة الخاصَّة والمتوسِّطين والعوام . أمَّا الخاصَّة فانَّهم يفهمون حقيقة (الإمكان) من (الاُفول) وكلَّ موجود ممكن هو بحاجة إلى الخالق ، وهذه السلسلة متَّصلة حتَّى تنتهي بالطاهر المنزَّه من الإمكان ولا سبيل إلى ذاته ، كما نقرأ في موضع آخر (وانَّ إلى ربِّك المُنْتَهِى) (1) ، وأمَّا المتوسِّطون فانَّهم يفهمون من الاُفول مطلق الحركة وانَّ كلَّ متحرِّك حادث وكلَّ حادث محتاج إلى وجود القديم الأزلي ، وأمَّا العوام فانَّهم يفهمون الغروب من الاُفول ويشاهدون الشمس والقمر والكواكب تمحى وتضمحل عند الغروب وتزول سلطتها وحكومتها ، ومثل هذه الأشياء لا تصلح للألوهية ، إذن جملة (لا اُحْبُّ الْآفِلِينَ) كلام يستفيد منه (المقرَّبون) و (أصحاب اليمين) و (أصحاب الشمال) وهذا أكمل وأوضح برهان(2) . ومن هنا يتَّضح لماذا لم يستند إبراهيم (عليه السلام) إلى طلوع هذه الكواكب مع انَّ الطلوع والغروب كلاهما مصداقان للحركة ؟ وذلك لأنَّ ظاهرة الزوال والفناء وإنقطاع الفيض والبركة يشاهد في الغروب تماماً في حين لا يشاهد ذلك في الطلوع . وعليه فأنَّ الفصاحة والبلاغة تقتضيان أن يكون الإعتماد على (الغروب)

1 - سورة النجم : الآية 42 . 2 - تفسير الفخر الرازي : ج 13 ، ص 52 .